مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

فضاءات السرد في رواية (غسق الكراكي) لسعد محمد رحيم

أ.م. د فوزي ثعبان منسي الموسوي
كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية
Alshfeehadeel176@gmail.com
07704536174

مستخلص البحث :

ينفتح مفهوم الفضاء السردي على ثيمات اشارية عميقة تستهدف الولوج الفاحص لمنظومة العلائق الداخلية للمتن الروائي ما يمكّن القارئ من اكتشاف مساحات غير مؤولة رؤيويا ومن ثم جني محصول انتاجي اضافي لفهم ذلك الفضاء وتلمس اشتغالاته القصدية عبر النسق التكويني للعالم السردي ، ومن هذا المنطلق نحاول في هذا البحث رصد متحولات الفضاء السردي في رواية غسق الكراكي للروائي العراقي سعد محمد رحيم ، في قراءة غير نمطية متجاوزين اشكاليات الفهم النسقي السائد عبر الانفتاح على قصديات الفضاء السردي وبنياته الفاعلة في تلك الرواية التي تمثل اختزالا متخيلا لمرحلة مهمة من مراحل تاريخ العراق الحديث .

المفاتيح : فضاءات السرد، غسق الكراكي ، سعد محمد رحيم، ما وراء السرد، الثيمات المتضادة، الذاكرة السائلة.

المقدمة :

سعد محمد رحيم (1957-2018) روائي عراقي معروف ، بدأ نتاجه السردي بروايته الأولى (غسق الكراكي) في عام 2000 ، وهذا البحث دراسة في الفضاءات السردية التي تنطوي عليها هذه الرواية ، بدءاً من الفضاء الزمكاني الذي يضم الزمان والمكان وهو ما يشكل المبحث الأول من البحث، ثم الفضاءات الأخرى المرتبطة بالفضاء الأول ارتباطاً بنيوياً كفضاء العنوان وفضاء ما وراء السرد وفضاء الثيمات المتعارضة وفضاء الذاكرة السائلة وهذه الفضاءات الأربعة تُعد مكملة للفضاء الأول المفتوح والمتسع ، ليتجاوز انغلاقه البنيوي باتجاه المعنى الجمعي الأوسع، بوصف الرواية توثق مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العراقي الحديث تحت وطأة الحرب والتشتت والاستبداد ، لينتهي البحث بخاتمة تجمل اهم نتائجه .

المبحث الأول :

الفضاء (الزمكاني) المتسع

عند تناول عنصر من عناصر البنية السردية ، يتجه الحديث الى بيان مدى أهميته وأثره في تلك البنية، وأن لا نص سردياً كائن من دون ذلك العنصر، ولكننا هنا سننحو نحواً آخر، يتمثل في ثلاثة أشياء ، أما الأول : فهو علاقة العنصر المدروس بسائر عناصر البنية السردية، والأمر الثاني : صفته الغالبة بعيداً عن التقسيمات التقليدية المعروفة، والثالث : أثره النهائي في توصيف العالم الروائي للنص السردي ، ولأن هذا المبحث يُعنى بالفضاء المشترك للزمان والمكان فسوف يكون اهتمامنا منصباً على هذه الأمور الثلاثة .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

عند الحديث عن هذين العنصرين كل واحد منها على حدة ، فغالباً ما نجد ان مباحث الزمن في النص السردي بعامة والرواية بخاصة قد وجد تقعيده المكتمل على يد جيرار جينيت ، على الرغم من اغراقها في البنيوية الشكلانية ، وهو ما يفقدها تلمس اثر الزمن في البناء الكلي للرواية ، الذي يتوجب ان نعتني به خلافاً لجينيت، فالمكان تبرز أهميته في النص الروائي من خلال علاقته المتينة بالزمن من جهة ومع بقية العناصر البنائية الأخرى من جهة أخرى ، فلا يمكن الحديث عن حدث ما، أو عن الشخصية التي قامت به من دون الحديث عن المكان الذي احتوى هذين العنصرين (مجموعة باحثين، 1988 : 22) ، فضلاً عن زمانيهما، فالعمل السردي رحلة في الزمان والمكان. في آن واحد، فهما يلتقيان في كونهما الاطار الذي يحوي الحدث والشخصية لكنهما يفترقان في انتماءاتهما الفنية، إن أهمية المكان بوصفه عنصراً يأتي من كونه يساعد ويعمل على تأطير المادة الحكائية ، حين يتحول احياناً إلى فضاء يحتوي على العناصر القصصية بما فيها من احداث وشخصيات، وما بينهما من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تنفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها (الونسة ، 2004 : 114) وفي الوقت الذي انكب فيه النقاد على دراسة الزمن وبقية عناصر البناء السردي ، كان نصيب المكان الإهمال، والتهميش بحجة ان القص يرتبط ارتباطاً جوهرياً وثيقاً بالزمان لا بالمكان (اوسبنسكي ، 1999 : 85) ، وقد ذهب جيرار جينيت الى مدى أبعد من هذا حينما قال : يمكن أن أروي قصة من دون أن أعيّن المكان الذي تحدث فيه ، وهل هذا المكان بعيد قليلاً أو كثيراً من المكان الذي أرويها منه ، هذا في حين يستحيل عليَّ تقريباً ألا أموقعها في الزمن (جينيت ، 1997 : 229-230)، على عادة جينيت في تفضيله الزمان على المكان دائماً ، لكن هذا الموقف لم يدم كثيراً فسرعان ما خضعت الدراسات النقدية لهذا العنصر (المكان) معترفة بدوره ومقرة بأهميته بوصفه العنصر الضام لسائر عناصر القصة، ودلالاته الرمزية التي تصب في الدلالة العامة للنص السردي، فظهرت بذلك دراسات نقدية كثيرة حول المكان في الحكاية الخرافية التي جاءت في خضم دراسته الوظائفية (المرزوقي وشاكر، 1985 : 57)، و دراسات ميخائيل باختين الذي جمع بينه وبين الزمن في فضاء واحد في ما اصطلح عليه بـ(الكرونوتوب) (Chronotop) الذي يمكن ترجمته (على نحو تقريبي) بالزمكانية (باختين ، 1990 : 5) .وليس أقل من ذلك دراسة غاستون باشلار عن (شعرية الفضاء) الذي ترجمها غالب هلسا الى (جماليات المكان) ، ثم توالت الدراسات التي عمدت الى تقسم المكان الى انواع بسبب الألفة والمعاداة، وبحسب الأبعاد الهندسية *.

اما فيما يتعلق بعنصر الزمن في النص الروائي فيعود الفضل في سبر اغواره إلى الشكلانين الروس ، إذ بثوا الحركة في الدراسات النقدية عبر إدخاله في نظرية الادب بوصفه مبحثاً من

---

* يمكن العودة الى :
- عالم الرواية ، رولان بونوروف، وريال اونيليه : ص98
- المكان في الرواية العربية ، غالب هلسا، ط1 ، دار ابن هانئ ، سوريا ، دمشق ، 1989 ، ص89 .
- الرواية والمكان ، ياسين النصير ، ج1 ، ص27 .
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، ج2 ، ص28 .
- بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، ص62 .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

مباحثها واثارة الجدل حوله من خلال طرحهم ما اصطلحوا عليه بالمتن الحكائي والمبنى الحكائي (ايخنباوم وآخرون ، 1987 : 179) إذ يحددون الأول بمجمل الاحداث المتصلة فيما بينها ، والتي يقع اخبارنا لها خلال العمل حسب النظام الطبيعي ، بمعنى النظام الوقتي السببي للأحداث وباستقلال عن الطريقة التي نظمت تلك الأحداث (ايخنباوم واخرون ، 1987 : 180)، أما الثاني فانه يتألف من الاحداث نفسها ، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعنيها لنا (ايخنباوم واخرون ، 1987 : 180)، ومن خلال هذا التمييز بين المتن الحكائي (القصة) والمبنى الحكائي (الخطاب) أقاموا البحث في العلاقة التي تربط بين زمن القصة وزمن الخطاب ، فضلاً عن بناء القصة الذي يتوقف على نوع خطاب الراوي والطريقة التي يتخيل بها حكايته ، فالزمن في المبنى الحكائي زمن فني يتبع منهجية الراوي في عرض الأحداث وترتيبها فيه، وبذلك يكون هذا الزمن هو زمن الراوي فهو خاضع لمخيلته وخياراته ، فاذا كانت الاحداث ذات زمن خطي في متنها الحكائي ، فان للراوي رؤية خاصة لزمن الاحداث وبنائها في المبنى الحكائي، معتمداً على العلاقات المضمرة بين الاحداث ، عن طريق إعادة ترتيبها ، لا على أساس زمن ، وانما على الأساس الخاص الذي يحاول الراوي ان يرى به هذه الاحداث وعلاقاتها (علي ، 2008 : 26)، اصبحت دراسة الشكلانيين الروس هذه منطلقاً لبقية الاتجاهات النقدية التي تهتم بهذا المجال ، ثم تعاقبت الدراسات بهذا الخصوص ، منها دراسة ميشال بوثور الذي طرح فكرته عن الزمن مقسماً إياه ثلاثة اقسام هي : زمن الكتابة ، وزمن المغامرة ، وزمن الكاتب وكثيراً ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة بوساطة الكاتب (يقطين ، 1997 : 69)، (بوتور ، 1992 : 101 وما بعدها)، اما جان ريكاردو فقد اختار ان يقسم الزمن تقسيما ثنائياً ليجعله على مستويين : الأول هو زمن السرد، والثاني هو زمن القصة ، وعلاقة الأول بالثاني تكشف عن سرعة السرد أما الأخير فيكشف عن علاقات الديمومة (ريكاردو ، 1993 : 249)، ثم جاء تودوروف الذي رأى في الزمن نوعين يتضمن كل منها عدداً من الازمنة : أزمنة خارجية وتضم زمن الكاتب وزمن القارئ والزمن التاريخي، وأزمنة داخلية وتضم زمن القصة وزمن الكتابة وزمن النص (بحراوي ، 1990 : 114)، وقد جاءت تقسيماته هذه متأثرة بتمييز الشكلانيين الروس بين زمن القصة وزمن الخطاب وهما يقابلان المتن الحكائي والمبنى الحكائي . اما أهم الدراسات النقدية وابرزها في هذا المجال والتي أصبحت مناراً يهتدي به كل من يروم الخوض في أعماق النص السردي فهي التقسيمات التي وضعها جيرار جينيت في (خطاب الحكاية)، إذ بنى رؤيته للزمن السردي - منطلقاً من آراء تودوروف - على اساس المقارنة بين زمن القصة / الاحداث كما وقعت فعلاً، وزمن الحكاية / الأحداث كما تظهر في السرد (جينيت ، 1997 : 45)، وهي بحسب العلاقة بين زمني (الخطاب / القصة).ولهذا فلن نفصّل في التمثيل النصي بين المكان والزمان بل نعاملهما على انهما يشكلان فضاءً واحداً - بحسم مفهوم باختين - في رواية (غسق الكراكي) لسعد محمد رحيم على نحو ما سنرى ، ليسهم كل من المكان والزمان في النهاية في اغناء وتوسعة الفضاءات الأخرى في الرواية، وذلك على الرغم من الحديث عنهما منفصلين في بادئ الأمر، إذ يبدأ (زمن الحكاية) في غسق الكراكي منذ حادثة احتراق منزل (كمال) ووفاة والدته وأخته ليستمر حتى يصل إلى لحظة

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

استشهاده ، بينما يرصد (زمن الخطاب) الاحداث بعد وفاة كمال بسنة وتنتهي عند زمن مفتوح يرصد فيه الراوي المتمثل بالشخصية الأمور والاحداث التي حصلت بعد موت (كمال)، فينفتح زمن الرواية في نهاتيها على رسالة (مها) حبيبة كمال التي تقرر العودة الى الوطن ، فتنتهي الرواية في الزمن الحاضر الذي يعدنا الراوي فيه باستئناف الرواية مستقبلاً بعد عودة (مها) الى الوطن ، ولكن الراوي عرض لنا الزمن السردي من دون الالتزام بترتيب الاحداث فلم يتمسك بالتسلسل الزمني في بناء الرواية بدءاً من ولادة (كمال) ، حتى استشهاده ، بل راح يتنقل في هذه الساحة الزمنية بحرية واضحة ، باتجاه أفق زماني متسع يُسهم الى حد كبير في اتساع الفضاء الزمكاني في المحصلة النهائية، واذا أخذنا الخلخلة في تحطيم الخطية في التسلسل الزمني للرواية واحداثها بنظر الاعتبار فإننا سنجد ذلك في الاسترجاعات الكثيرة في زمن الرواية وكذلك الاستباقات ، لاسيما ان انطواء الرواية وتبنيها لتقنية (ما وراء السرد Metafiction) سيجعل الأزمنة الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) حاضرة بقوة ووضوح في الرواية ، فقد كان (الروائي) ومن ورائه (الراوي) حرّين في التلاعب بالأفق الخطي للزمن ، وفي هذه الحالة يقوم الراوي بترتيب مرويه لا بناء على تسلسل أحداث الحكاية ، بل بالاعتماد على تصور جمالي فني أو مذهبي، يجعله يتصرف في تنظيم هذه الاحداث في نطاق نصّه القصصي (المرزوقي وشاكر ، 1985 : 75) ، وبهذا يصبح الراوي الراعي الرسمي للخطاب الجمالي الايديولوجي والتفسيري، وهو الأمر الذي يدعوه والاس مارتن بـ(اعادة التصوير) (علي ، 2008 : 60) ، هذا البناء المتراكب للمستوى الزمني في الرواية يزيده تراكباً وخلخلة أمران إثنان ، الأول منهما تبنّي الرواية لتقنية (ما وراء السرد) وثانيهما السرد المضمّن implied story بلغة تودوروف او ما كان يسمى بالسرد الاطاري frame story بلغة النقد الانكلو أمريكي، ويعني القصة (الحكاية) داخل القصة (الحكاية) ، فمن الامثلة الكثيرة على تقنية (ما وراء السرد في الرواية المثال الآتي :

- قلتُ لعارف ، وقلتُ لسارة:

(سأكتب رواية كمال)

سألني عارف عن المادة المتاحة لي والكتابة .. وقال:

(المهم هي الطريقة .. طريقة الكتابة .. الاسلوب) (رحيم ، 2017 : 30)

وعن السرد المضمن الإطاري هذا المثال :

- فطفقت أمي تسرد قصة قديمة عن كمال . (رحيم ، 2017 : 36)

ينفتح المكان في الرواية إلى ما يسمى في الدراسات السردية حول المكان في الرواية بالمكان المفتوح مقابل المغلق، على فضاء متسع ، ويزداد اتساعاً وانفتاحاً بارتباطه بالزمان ، وبناء على هذا تختفي من الرواية الاماكن المغلقة كالبيت والغرف وغيرها، وتحضر بدلها بقوة الاماكن مثل : (الصحراء / البحر / المدينة / الشارع / النهر ..) ، ممّا يرسخ فكرة اتساع الفضاء ، ومن علامات اتساع الفضاء المكاني، ومن ثم الزمكاني ، غياب التحديد الهندسي والفيزيائي التقليدي للمكان بالوصف والتحديد، وضباب الوصف والتحديد هو إمعان في الاتساع ليتحول المكان في الرواية من مجرد (الحيز) الى (الفضاء المتسع)، وليس من المبالغة القول ان عنصر المكان هو العنصر السردي المهيمن على الرواية وهو - قد تمَّ - باشتراكه مع الزمان وتفاعله معه ، قد فتح

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

الرواية على فضاءات أخرى.ويمثل النهر بوصفه مكاناً يكتسب اتساعه بجريانه وامتداده أكثر الأمكنة ذكراً وإشارة في الرواية في كل مفاصلها من (ص28) وحتى (ص235) ، فقد يرد من دون وصف أو تحديد لعلاقة الشخصية بالمكان :

- هكذا يطلع كمال من النهر عارياً إلا من سرواله الداخلي .... (رحيم ، 2017 : 60)

أو يوصف للمكان المحيط بالنهر :

- بين الصخور تسرّب الاخضرار، ونمت الشقائق، وازاهير بأشكال والوان شتى، وانبجست نباتات الفطر بقبعاتها البيض ومع مجرى النهر انحدر الريحان، واشجار القوغ الضخمة .

(رحيم ، 2017 : 94)

- خضنا في الماء الموحل ، السريع الجريان .. قال :

(النهر ليس عميقاً .. ارفعوا بنادقكم وجعبكم فوق رؤوسكم :

(رحيم ، 2017 : 126 وكذلك : 213)

أو حينما يكون النهر مكاناً يفصل بين حياة الشخصية وموتها :

- القوتان المتضادتان باتتا على يميني وشمالي ، واستمتنا في المحاولة، وألفيتني أبكي عندما سلمني النهر علياً ... سلمني إياه فجأة ، برضا ودون مقابل .. هكذا ، وكأنه كان يلهو معنا طوال الوقت .. وتعانقنا في الطين ... (رحيم ، 2017 : 133)

أو يكون جزءاً من الذاكرة المركبة للشخصية :

- وسط قيامة النار عبرت صور قديمة فتذكرت محمداً ، وتذكرت عارفاً ، وتذكرت سارة ، وتذكرت الجدول المار محاذاة البساتين القريبة (رحيم ، 2017 : 140)

يحتل النهر / المكان في الرواية موقعاً فاعلاً في الحدث وفي الذاكرة ويرتفع أفقه الى مستوى الشخصية في الرواية، فهو في المقتبس السابق يأتي في الذاكرة بعد ثلاث شخصيات فضلاً عن الراوي بضمير المتكلم نفسه .

ومثلما يكون النهر جزءاً من الذاكرة المتخمة بالصور والذكريات فقد يشترك مع التحديد الزمني في عملية التذكر :

- وسمع عمّي فقال :

ذات مرة ضربتك حين ذهبت إلى النهر ليلاً .. أتذكر .. كنت صغيراً ، وندمت لأني ضربتك (رحيم ، 2017 : 170)

كما يحتل البحر بوصفه مكاناً متسعاً مفتوحاً حيزاً مهماً في الرواية ليتقاسم هذان المسطحان المائيان هيمنتهما على المكان في الرواية ، النهر مكان الوطن ومكان الألفة، والبحر مكان (الحرب) والغربة :

- أما البحر، فيسمع كمال نواحه الرتيب ، ولا يراه .. إنه هناك . على مقربة منه ، ذاهلٌ في السواد . وسادر في الغموض .

يخرج كمال سيجارته الأخيرة .. يُشعلها على حافات غربته .. غربة الحريق وغربة البحر الذي يحسه هادراً في صدره .. لكأن البحر بين ضلوعه .. هدير عاتٍ يفاقم الغيط والوحشة.

(رحيم ، 2017 : 20)

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

ربما يفي هذا المقتبس - على طوله - لإظهار فضاء البحر وتحديد علاقة الشخصية به وتفاعلها معه ، على الرغم من كونه بعيداً عن الشخصية لكنها تسمع نواحه الذي يثير الاسى و الرتيب ، ثم يصبح قريباً :

- كان البحر قريباً .. كان الماء ينشج بحرقة وعذوبة . (رحيم ، 2017 : 22)

ويبلغ هذا المكان (الفضاء) اتساعه في نهاية الرواية بربطه بالمطلق الكوني ، باستعماله مشبهاً به في النص الآتي :

- أدركتُ - كما لو أن كائناً آخر ولد في اعماقي واحتلني وراح يطمئنني بأن العراق كما الشمس ، كما النجوم، كما زرقة السماء ، كما البحر، كما الله ، عصيٌّ على الموت.

(رحيم ، 2017 : 249) .

والمكان الثالث الذي يشكل فضاءً متسعاً هو الصحراء ، إذ كثيراً ما يرد في الرواية موصوفاً بالسعة والانفتاح :

- بدا وكأنه السائق ضل الطريق ، فمنذ ساعة و هم يدورون في هذا الخلاء الشاسع من دون ان يلتقوا بأحد ، أو يمروا بمكان يسكنه بشر . (رحيم ، 2017 : 19)

وفي نص آخر يرتبط المكان بالزمان ليشكلا فضاءً مفتوحاً غير أليف مرتبطاً كذلك بثيمة (الحرب) :

- في حوض العجلة .. على أكوام الاشياء ، كان يجلس مع ثلاثة جنود آخرين .. لم يتبادلوا سوى كلمات قليلة ، والصحراء تعتم رويداً رويداً مع هبوط مساء الشتاء ، وقدوم طلائع سحابات الزيت المحترق . (رحيم ، 2017 : 19)

إذ يتعالق - هنا - المكان بالزمان وبإحساس الشخصية تحت وطأة هذا الفضاء المعادي وبما تخلفه الحرب من مكمِّل لهذا الفضاء . من هذه الفضاءات الثلاثة سيكون النهر فضاء أليفاً ، فضاء المدينة والسكن والوطن وسيكون البحر والصحراء فضاءين معاديين فضائي الحرب والغربة

المبحث الثاني

الفضاءات السردية الاخرى

ليس الفضاء الزمكاني في رواية (غسق الكراكي) بنيةً مغلقة مستقلة بل كانت مصّباً لروافد أسهمت في تشكيلها ، ومنحتها متانتها السردية وسماتها التعبيرية، وهذه المؤثرات تبدأ من العنوان الممنوح للرواية ، مروراً بتقنية ما وراء السرد، وتركيبة (الثيمات المتعارضة)، وانتهاءً بسيولة الذاكرة ، وهذه العوامل لم تؤثر بتشكيل هذا الفضاء فحسب، بل أثرت في اكسابه المعنى من جهة ومنحه سمة الانفتاح من جهة اخرى .

1-2 : فضاء العنوان

انَّ العنوان نفسه (غسق الكراكي) ينبني على ثنائية زمكانية ، لتُمسي نواةً مكتملة في الافضاء الى فضاء زمكاني متسع فيما بعد ؛ فالغسق حدٌ فاصل بين النهار والليل ، مؤذن بمجيء الظلمة واكتمال الليل ، بعد الغروب مباشرة ، ودلالته في الذاكرة الرمزية سلبية ، وهو ما سيتعلق بإحدى الثيمات المهمة في الرواية وهي (الحرب) وليس هناك ادل على شره من قوله تعالى : (من شر غاسقٍ إذا وقب) (العلق/3) ، وطائر الكركي من الطيور المائية المهاجرة، يعيش في المسطحات

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

المائية في الأهواء والانهار ، ولأنَّه كذلك فانه من مكملات المكان فضلاً عن التماثل بين زمن (الغسق) القصير الفاصل بين زمني (النهار والليل) وبين طائر (الكركي) الذي يجمع بين مكانين هما مكانه الأصلي والمكان الذي يهاجر إليه ، لنجد في هذا التماثل معنى المؤقتية والتحول والانتقال واللا استقرار ، وكلها سمات تُسهم - من ثمَّ - باتساع الفضاء الزمكاني في الرواية . ترد مفردة الكركي / الكراكي في الرواية كثيراً ، مما يوحي بانَّ عنوان الرواية لم يكن تزيينياً أو تصادفياً ، بقدر ما هو بنيوي ودال على متن الرواية وشديد الارتباط بفضائها المتسع والمتعدد في الوقت نفسه ، وهو ما ينسجم مع ما اشار إليه رولان بارت؛ إذ يرى العنوان عبارة عن مجموعة من الانظمة الدلالية الظاهرة أو الباطنة والحاملة لقيم وأخلاق ايديولوجية المجتمع الذي تظهر فيه هذه الانظمة، وتساعد في كثير من الاحيان على فهم حقيقته وظروفه التاريخية (لحميداوي ، 1997 : 199)؛ ففي النص الآتي - على سبيل المثال - تتزاحم الامكنة التي تستدعيها الذاكرة المتعبة بين المدينة والشط (النهر) وما يرتبط به ، مع الاشارة الى فصل الشتاء:

- كان في المطر رائحة الزيت .. تخيّل الكراكي مداهمة بلون الموت هذا - في سعديته البعيدة - بين القصب وأسيجة البساتين .. بين جدول داود وشط ديالى . (رحيم ، 2017 : 21)

ويجيء الغسق (الزمن) مع طائر الكركي الدال والمتعالق مع الفضاء الأليف يؤكد شدة ارتباط العنوان ببنية الرواية واسهامه في اتساع الفضاء وتعدده :

- وتفرّح الكراكي يوم الغسق . (رحيم ، 2017 : 70)

ويستدعي ورود (الكركي / الكراكي) ، مكملات الفضاء الاخرى واضعاً إياها في سياق الثيمات ، و التنوع المكاني والتعبير عن رفض ايديولوجيا الحرب والنفي والاغتراب :

- أما الكراكي فعصيّة على النفي ... إنها تهاجر ابداً وتعود مثقلة بعبأ الاحساس بالحرية ، شرط الحياة النادر ، ولفقدان هذا الشرط يكون المنفى .. وحبها كان المنفى نفتّح تحت سماء بلا حرية فصارت المنفى. (رحيم ، 2017 : 71) تقع هذه التعبيرات عالية الاحساس تحت وطأة القهر والحرب والنفي والغربة ، مما يضع طائر الكركي معادلاً موضوعياً يرمز إلى هذه المعاناة التي تترشح من شخصيات الرواية .

2-2 : فضاءات ما وراء السرد :

تعمل تقنية (ما وراء السرد / ما وراء الرواية) عند اعتمادها في النص الروائي على تعدد المستوى السردي الى مستوين أو أكثر ، وهذا من شأنه أن يفتح الفضاء المكاني والزماني على مديات أوسع ، فمظاهر ما وراء السرد تهدف الى خلخلة النظام السردي، وتبصير القارئ بمكوناته ، والاقتراب من المستوى الاجرائي والنظري للسرد أكثر من المستوى الابداعي له ، وفي الاشارة الى ظهور شخصيات حقيقية أو تاريخية، وشخصيات معنية بالشأن الكتابي الابداعي في السرد، أو مناقشة شؤون سردية في النص الروائي، والتعليق عليها ، فضلاً عن حديث الراوي عن بناء الرواية ، وتماهي شخصية الكاتب بالراوي، أو مخاطبة القارئ على نحو مباشر ، والتحكم في مستوى التأويل، اي انتهاك الايهام السردي ، واللعب على العلاقة القائمة بين القصة والخطاب (سهر ، 2017 : 55) ، والكثير من هذه المظاهر نجدها في رواية (غسق الكراكي) التي يقول عنها ..الدكتور فاضل التميمي :

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

(كان الروائي (سعد محمد رحيم) قد اهتدى الى ما يشبه تقنية (ما وراء الرواية) حيث نشر أول رواية له مكتملة الشكل أعني (غسق الكراكي) في العالم 2000 م قبل ان يظهر المصطلح بشكله الدقيق في الثقافة النقدية العراقية) (التميمي ، 2018 : 83) ، ناقلاً عنه عدم معرفته النقدية لهذه التقنية وهو يستعملها إذ قد يكون متأثراً فيها بمن سبقه من الروائيين

(التميمي ، 2018 : 83) فالسطر الأول من الرواية يعلن عن هذا الفصل بين عالمين ، عالم الراوي والعالم الآخر الذي يريد ان يقيمه لنجد (رواية داخل الرواية) .

- قال لي :

(حلم حياتي الكبير أن اكتب رواية) (رحيم ، 2017 : 8)، ليمضي الراوي في كلِّ متنه يُشير الى هذه الرواية المقصودة ، الى شخصياتها وإلى كيفية بنائها، والى علاقتها بالأعراف السردية المعروفة التي سبقته، إذ يشير الى رواية (مدام بوفاري) لفلوبير (رحيم ، 2017 : 67)، والى رواية (البحث عن الزمن المفقود) لمارسيل برست (رحيم ، 2017 : 222)، فضلاً عن نصوص أخرى بوصفها وصفات منجزة لمتون روائية معروفة (رحيم ، 2017 : 28/27) ، يكتب - ربما - على منوالها رواية كمال :

- غادر كمال ولم يكتب روايته ، غير أن روايته المؤجلة تكتبني الآن .. (رحيم ، 2017 : 10)
- لذلك قررتُ أن أكتب روايتك يا كمال .. (رحيم ، 2017 : 28)

وهنا ينقسم الفضاء الى فضائين : فضاء الحاضر وفضاء الماضي ، يُقيمان معاً في متن سردي واحد للتخطيط لكتابة رواية (رواية كمال) في المستقبل ، وهذا التعدد الزماني يؤول في النهاية إلى تعدد مكاني يسهمان في اتساع الفضاء الزمكاني للرواية.

3-2 : فضاء الثيمات المتعارضة :

تنهض الرواية على ثيمتين مركزيتين ، هما: (الحب) او (الحرب) وهما ثيمتان متعارضتان كل منهما باتجاه مغاير للأخرى، ذلك الاتجاه والتعارض اللذان من شأنهما أن يطبعا المكان بطوابع نفسيه مختلفة ، فكل أمكنة الحب أليفة وكل امكنة الحرب معادية ، كما يُسهم التعارض والشدّ المتناقض الى تمزيق الخط الزماني ويضيف اتساعاً في الفضاء فضلاً عمّا أحدثه ما وراء السرد -كما مر بنا - من تعدد مستويات الفضاء .

إن قيام الرواية على هاتين الثيمتين الكبيرتين في التراث السردي العالمي، ووجودهما معاً في متن الرواية والاشارة المتكررة الكثيرة صراحة اليهما يعكس التعارض القيمي والاجواء النفسية المهيمنة في الرواية مضفياً البعد الايديولوجي في رفض الحرب والدعوة الى الحب، فالواقع يشي بضياع الحب وهيمنة الحرب، مما يجعل الرواية معبرة عن الهم الجمعي وليس الفردي في تصوير حقبة مظلمة من تاريخ العراق الحديث، وإن المفارقة الدالة هي في قلب ثنائية الحب / الحياة الى : الحب / الموت، مستعيراً الموت من الحرب مضيفاً إياه إلى الحب :

- والتفتُّ إليه .. خرجت الكلمات من فمي حادةً وبشيء من الجزم :

هز رأسه نافياً : (الحب والحرية) "أصبت في واحدة ، وأخطأت في واحدة "

ولمّا لم أعلّق ، أضاف: (الحب والموت) (رحيم ، 2017 : 228)

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

لتلتقي هذه الثنائية الثيمية في سطر واحد من الرواية مع الوحدة، وكأنها الصفة الوحيدة التي تجمع بينهما :

- هل أضاع كمال نفسه ، أم ضيعه الحب والحرب والوحدة ..؟ (رحيم ، 2017 : 236)

ليرقى الهم الفردي الى هم الجمع والوطن برمته، فهاتان الثيمتان المتعارضتان ، إذا التقتا لا تنتجان سوى الضياع ذلك الفضاء السديمي الكبير .

4-2 : فضاء الذاكرة السائلة :

يتشظى الفضاء الزمني في الرواية ليتبعثر على مديات الذاكرة السائلة في الرواية لما قبل احداثها وفي احداثها ، وما بعدها وما سيتبع ذلك من تعدد الامكنة، مما يجعله سرداً استعادياً وبامتياز لتضيف الذاكرة اثراً في انفتاح القضاء واتساعه؛ وهو ما يعكس ضغط الواقع وقسوته لاسيما تحت وطأة ثيمة (الحرب) ، ولهذا فليس من الغريب اللجوء الى الذاكرة كلما تَعِس الواقع وادلهم، لتصبح الذاكرة نافذة وألماً وبحثاً عن لحظات مغايرة ترسم - ربما - أملاً في الخروج من ضغط ذلك الواقع التعس .

- وهكذا .. كنت ضجرة وتذكرتك . (رحيم ، 2017 : 44)
- تذكرتُك والقنابل تنفلق (رحيم ، 2017 : 88)
- وسط قيامة النار عبرت صورة قديمة فتذكرتُ محمداً، وتذكرتُ عارفاً ، وتذكرت سارة ، وتذكرت الجدول المار محاذاة البساتين القريبة .. (رحيم ، 2017 : 140)
- بينما مقاوماتنا تُحيل السماء الى خطوط من نار.

هناك ، تذكرت مها وابتسمت (رحيم ، 2017 : 182)

هذا الإلحاح على التذكر الذي يقع في الرواية - عادة - في اثناء الحرب والنار والغربة يستدعي في المتن الروائي ازماناً واماكن تخفف من ثقل الفضاء الحاضر - في زمن السرد - الموسوم بالثقل والقهر والقتامة لتخلق استدعاءً واسترجاعاً من دون استباق لتنقل الحلم وتكتفي بالماضي ، فهو مهما كان أفضل من الحاضر المعيش ، ليُصبح فضاء الرواية فضاء للمجتمع والوطن في مرحلة من مراحل تاريخه الحديث .

الخاتمة :

تؤرخ رواية (غسق الكراكي) لسعد محمد رحيم لحقبة مفصلية من تاريخ العراق الحديث عبر شخصيات واحداث وتقنيات سردية، وقد أنصب أداء البحث على فضاءات السرد فيها ، ابتداء من الفضاء الزمكاني المتسع الذي اتسم بانفتاح الزمان ، والعناية بالأماكن المفتوحة الواسعة كالنهر والبحر والصحراء من دون العناية بالأماكن الضيقة بأبعادها الفيزيائية والهندسية، ليصبح النهر دالاً على المدينة والألفة ، والبحر والصحراء دالتين على العداء والغربة، كما تناول البحث أثر الفضاءات الأخرى مروراً بالعنوان، وتقنية ما وراء السرد والثيمات المتعارضة المتضادة (الحب والحرب) ، وما أحدثته سهولة الذاكرة لتجعل منها رواية فضاءٍ بامتياز، هذا الفضاء الواسع المنفتح لم يكن مجرد فضاء لشخصيات روائية محددة فحسب، بل هو فضاء يتسع وينفتح باتساع الوطن وانفتاحه على العداء بدل الألفة والحرب بدل الحب، والتعلق بماضٍ - مهما كان - أفضل من حاضر تعس ومؤلم.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

المصادر :

1. اوسبنسكي ، بوريس ، بنية النص الفني وانماط الشكل التأليفي ، تر : سعيد الغاغي وناصر حلاوي ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 .
2. ايخنابوم ، بوريس ، نظرية المنهج الشكلي في : نصوص الشكلانيين الروس - بيروت – 1987.
3. باختين، ميخائيل ، أشكال الزمان والمكان في الرواية ، تر : يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1990 .
4. بحراوي ، حسن ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1990 .
5. بوتور، ميشال ، بحوث في الرواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات - بيروت ، ط3 - 1992 .
6. بورونوف ، رولان ، ريال اونيليه ، عالم الرواية ، تر : نهاد التكرلي ، مراجعة : فؤاد التكرلي ود. محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط3 ، 1991 .
7. التميمي ، فاضل عبود ، ما وراء الرواية ، مجلة تامرا ، العدد (3) حزيران ، 2018 .
8. جينيت ، جيرار، خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، تر : محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المشروع القومي للترجمة ، ط2 ، 1997 .
9. الحميداوي ، حميد، السيميوطبقيا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، مج25 ، ع3 ، 1997 .
10 رحيم ، سعد محمد ، غسق الكراكي ، سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط2 ، 2017 .
11. ريكاردو، جان ، قضايا الرواية الحديثة ، تر : صباح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة - دمشق، 1993.
12. سهر، خالد ، تمثلات ما وراء السرد في رواية (تحولات الحمار الذهبي) ، مجلة الأديب العراقي ، العدد14 ، شتاء 2017 .
13. لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، بيروت - الدار البيضاء، 1991.
14. العاني، شجاع مسلم ، البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، 2000 .
15. علي ، هيثم الحاج، الزمن النوعي واشكاليات النوع السردي ، الانتشار العربي - بيروت ، ط1 ، 2008.
16. مجموعة من الباحثين ، جماليات المكان ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1988 .
17. المرزوقي، سمير، وجميل شاكر ، مدخل الى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1985 .
18. النصير ، ياسين ، الرواية والمكان - دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، 1986 .
19. هلسا، غالب ، المكان في الرواية العربية ، دار ابى هانئ - دمشق ، 1989.
20. الونسة ، فادية مروان أحمد ، السرد عن الجاحظ - البخلاء انموذجاً ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، 2004 .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

21. يقطين ، سعيد ، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط3 ، 1997.

Sources in English

1. Uspensky, Boris, The Structure of Artistic Text and Patterns of Compositional Form, trans. Said Al-Ghaghi and Nasser Halawi, Supreme Council of Culture, 1999.
2. Eichtbaum, Boris, The Theory of Formal Method in the Texts of the Russian Formalists, Beirut, 1987.
3. Bakhtin, Mikhail, Forms of Time and Space in the Novel, trans. Youssef Hallaq, Ministry of Culture Publications, Damascus, 1990.
4. Bahrawi, Hassan, The Structure of the Novelistic Form, Arab Cultural Center, 1st ed., 1990.
5. Butor, Michel, Studies in the New Novel, trans. Farid Antonius, Oueidat Publications, Beirut, 3rd ed., 1992.
6. Bourneuve, Roland, and Réal O'Neillé, The World of the Novel, trans. Nihad Al-Takrli, rev. Fouad Al-Takrli and Dr. Mohsen Al-Mousawi, General Cultural Affairs House, Baghdad, 3rd ed., 1991.
7. Al-Tamimi, Fadel Aboud, Beyond the Novel, Tamra Journal, Issue (3), June 2018.
8. Genette, Gérard, Narrative Discourse: A Methodological Study, translated by Muhammad Mu'tasim, Abdul Jalil Al-Azdi, and Omar Hali, National Translation Project, 2nd edition, 1997.
9. Al-Hamdani, Hamid, The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Beirut - Casablanca, 1991.
10. Al-Hamidawi, Hamid, Semiotics and Titling, Alam Al-Fikr Journal, Vol. 25, No. 3, 1997.
11. Rahim, Saad Muhammad, *Twilight of the Cranes*, Sotor Publishing and Distribution, Baghdad, 2nd ed., 2017.
12. Ricardo, Jean, *Issues in the Modern Novel*, trans. Sabah Al-Juhaim, Ministry of Culture Publications - Damascus, 1993.
13. Sahar, Khalid, *Representations of Metanarrative in the Novel *The Transformations of the Golden Ass**, *Al-Adib Al-Iraqi* Magazine, Issue 14, Winter 2017.
14. Al-Ani, Shujaa Muslim, *The Artistic Structure in the Arabic Novel in Iraq*, General Cultural Affairs House - Baghdad, 2000.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.137) 2026,pp.1001-1012

15. Ali, Haitham al-Hajj, Genre Time and the Problems of Narrative Genre, Arab Diffusion - Beirut, 1st ed., 2008.
16. A group of researchers, The Aesthetics of Place, Dar Qurtuba, Casablanca, 2nd ed., 1988.
17. Al-Marzouki, Samir, and Jamil Shaker, An Introduction to Story Theory: Analysis and Application, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya, Baghdad, 1985.
18. Al-Nassir, Yassin, The Novel and Place, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma, Baghdad, 1986.
19. Halsa, Ghalib, Place in the Arabic Novel, Dar Abi Hani, Damascus, 1989.
20. Al-Wansa, Fadia Marwan Ahmad, Narrative in the Works of Al-Jahiz: The Misers as a Model, PhD dissertation, University of Mosul, 2004.
21. Yaqtin, Saeed, Analysis of Narrative Discourse, Arab Cultural Center, Beirut, 3rd ed., 1997.

Narrative Spaces in the Novel "Dusk of the Cranes" by Saad Muhammad Rahim

A.P. Dr. Fawzi Thaban Mansi Al-Mousawi
College of Basic Education / Al-Mustansiriyah University
Alshfeehadeel176@gmail.com
07704536174

Abstract:

The concept of narrative space opens up to profound symbolic themes that aimed to Inspective access to the system of internal relationships of the narrative text, enabling the reader to discover uninterpreted visionary spaces and thus reap an additional productive harvest to understand that space and perceive its intentional processes through the formative system of the narrative world. From this standpoint, in this research, we attempt to monitor the transformations of narrative space in the novel "Dusk of the Cranes" by the Iraqi novelist Saad Muhammad Rahim, in a atypical reading, transcending the problems of the prevailing systematic understanding by opening up to the intentions of narrative space and its active structures in that novel, which represents an imagined reduction of an important stage in the history of modern Iraq. **.Key words** : Narrative Spaces, Dusk of the Cranes, Saad Muhammad Rahim، Metafiction, Contractive Themes, Liquid Memory.